ما بين الأدب والسياسة
تحفة الوزراء
لأبي منصور الثعالبي

أ. د. سعد أبو دية(*)

تحفة الوزراء لأبي منصور الثعالبي (عبدالملك بن محمد بن إسماعيل ٩٦١ -١٠٣٨م، ٣٥٠ -٤٢٩هـ)

الملخص

هذا المخطوط متخصص في موضوعه يجمع بين الأدب والعلم. وبشكل عام يركز الكتاب على الوزراء والوزارات وما يمت إلى شؤون الوزارة بصلة. لقد أشبع الكاتب أمور الوزارة بحثاً وتفصيلاً، فقد تحدث عن:

- أصل الوزارة ومعناها واشتقاقها.
- مكانة الوزارة ومعناها واشتقاقها.
- صفات الوزير الصالح.
- مكانة الوزراء عند العرب والفرس والهنود.
- عادات الملوك في الاستيزار.
- فضائل الوزارة ومنافعها.
- تجارب الأمم الأخرى كاليونانيين والفرس.
- آداب الوزارة وحقوقها ولوازمها وحق الملك على الوزير.
- لطائف جرت بين الملوك والوزراء.
- شرائط الوزارة.

(*) الجامعة الأردنية – قسم العلوم السياسية.

- أقسام الوزارة ورسومها.
- الخصال التي يجب أن تجتمع في الوزير.
- أنواع الوزارة.
- كفاءة الوزراء ونكت ألفاظهم ومدائحهم وعفوهم.
- المشورة.

Abstract

This study is specialized in its subject as well as its dealing with both science and literature. In general, the book "Gift of Viziers" works on vizierate and viziers and whatever is related to them. The author has elaborated the viziers' affairs in detailed research .In particular, the author talked about:

- The origin of vizierate, its meaning and its derivations.
- The position of vizierate.
- The qualities of good viziers.
- The position of viziers among Arabs, Persians and Indians.
- The kings' habits when appointing a vizier.
- The merits and benefits of vizierate.
- Experiences of other nations such as Greeks and Persians.
- The vizierate's good habits, rights and supplies, and the king's rights to the vizier.
- Witticisms between kings and viziers.
- The vizierate's conditions and requirements.
- The vizierate's parts and forms.
- The qualities that a vizier should possess.
- The vizierate's kinds.
- The vizier's efficiency, jokes, praises and forgiveness.
- Counseling.

أهمية هذا المخطوط

- لقد كان الثعالبي أكثر تركيزاً على شؤون الوزارة من غيره من الكتاب الذين كتبوا عن هذا الموضوع بشكل عام من خلال الكتابة عن نظام الحكم أو الإدارة في الإسلام. وتميز هذا المخطوط بأنه ركز على الوزارة والوزراء وأنه يسد فراغاً في موضوعه.

لقد سبق الثعالبي غيره من الكتاب في الحديث بهذه الشمولية عن موضوع الوزارة والوزراء، وعلى سبيل المثال فإنه سبق أبا الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الذي كتب كتابين:

١- آداب الوزير (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٢٩).

٢- قوانين الوزارة وسياسة الملك (تحقيق رضوان السيد، منشورات دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩).

ويجدر بي أن أشير إلى طول باع الثعالبي في الكتابة في هذا الموضوع؛ فهو قد ترك تراثاً فكرياً ضخماً، وليس بغريب أن يصفه ابن خلكان نقلاً عن ابن بسام بأنه كان على رأس المؤلفين في زمانه إذ يقول: "كان في وقته راعي تلعات العلم وجامع أشتات النثر والنظم، رأس المؤلفين في زمانه، وإمام المصنفين بحكم أقرانه، سار ذكره سير المثل، وضربت إليه آباط الإبل، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب طلوع النجم في الغياهب، تواليفه أشهر مواضع وأبهى مطالع، أكثر من أن يستوفيها حد أو وصف أو يوفي حقوقها نثر أو رصف"[(١)].

---

(١) ابن خلكان أحمد بن محمد الأربلي (٦٠٨-٦٨١هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨. وهو نقل عن أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني ٤٧٧-٥٤٢هـ "**الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**"، تحقيق إحسان عباس، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٤٢.

ولقد وصفه تلميذه علي بن الحسن الباخرزي (علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي) صاحب دمية القصر وعصرة أهل العصر، وهو ذيل ليتيمة الدهر للثعالبي، فقال فيه: "جاحظ نيسابور وزبدة الأحقاب والدهور ولم تر العيون مثله ولا أنكرت الأعيان فضله". ووصف شعره بأنه صافي الديباجة لطيف التخيل.

محتويات المخطوط والملاحظات عليها

عرض المؤلف أفكاره في خمسة أبواب بطريقة طريفة جداً:

الباب الأول: بحث في أصل الوزارة ومعناها واشتقاقها وصفات الوزير الصالح، ومكانة الوزراء عند العرب والفرس، وتطرق لعادات الملوك في الاستيزار.

الباب الثاني: هذا الباب قصير جداً لا يتجاوز ثلاث صفحات تحدث فيها عن فضائل الوزارة ومنافعها وآراء مختلفة عن منزلة الوزير عند الحاكم.

الباب الثالث: يتألف هذا الباب من أربعة فصول ومقدمة عن آدابها وحقوقها ولوازمها.

الباب الرابع: يتألف من تسعة فصول عن الوزارة وأقسامها ورسومها والخصال التي يجب أن تجتمع في الوزير مع ما تقدم وصفه من الشرائط والآداب.

الباب الخامس: ويتضمن هذا الباب:

فصل في الكُفاة، ونبذة من نكت لطائف الوزراء ومحاسن ألفاظهم، واستعطافات الملوك والوزراء وطلب العفو والرضى، ومدائح بعض الوزراء.

والمخطوط فريد في بابه، ولو أخذ مكانه في المكتبة العربية لكان كتاباً آخر في المكتبة وأفضل من كتاب (نيقولا مكيافلي) عن الأمير؛ لسبب يرتبط بأخلاقيات هذا الكتاب التي لا تتوافر في كتاب الأمير عند مكيافلي الذي أراد أن يفتح الطريق أمام السياسي بورجيا في توحيد إيطاليا وحكمها.

منهج الدراسة

كنت أؤثر أن أعيد ترتيب المخطوط على النحو الذي ذكرته في ترتيب الأبواب، ولكن خشيت أن أُفقِد المخطوط شكله الأصلي الذي كتب عليه. لقد بدأت بمراجعة للمخطوط عام ١٩٨٩م، وكنت على صلة شبه يومية بهذا المخطوط بعلمه وأدبه، وكنت أقارن بين ما ورد في هذا المخطوط وكتب التراث وكتب الثعالبي نفسها.

ولقد رجعت إلى المصادر التي استسقى منها المؤلف مادته، سواء ما تعلق منها بالأمثال أو الشعر. ولقد خرّجت الآيات القرآنية الكريمة كما وردت في مواضعها في القرآن الكريم فأشرت إلى رقم الآية والسورة التي وردت فيها.

كما خرجت الأحاديث النبوية الشريفة وعرّفت بأسماء الأعلام في ذيل الدراسة، وقمت بشرح الغامض من المعاني.

وفي بداية كل باب أعددت محتويات للباب، ولقد رتبت المادة كما وردت للمحافظة على تسلسل الموضوع كما ورد على لسان المؤلف، وبالإضافة إلى ما تقدم، فإنني قد استعنت واستشرت كثيرين من ذوي الاختصاص وقدمت لي دار البشير في عمان تسهيلات الاطلاع على مصادر يستخدمها علماء الدار الذين يتولون إخراج موسوعة سير أعلام النبلاء، ثم تكرمت دار البشير وأخرجت المخطوط في كتاب عام ١٩٩٣، ولما عقدت كلية الآداب في الجامعة الأردنية مؤتمر حوار الآداب في تموز ٢٠١٠ قدمت ورقة هي تلخيص للمخطوط، وهو هذا البحث بنفس الاسم (تحفة الوزراء) حول أهم أفكار الكتاب (لم تنشر أعمال المؤتمر في كتاب).

وأخيراً، أنوه أن هذا المخطوط الذي اعتمدت عليه محفوظ لدى دار الكتب المصرية/ رقم الفيلم ١٨٨، رقم المخطوط فيها ٥ نحوش منسوخ ١٣٠٠، عدد الأوراق ٤٤ قياس ٢٨ في ١٨سم، رقمه في الجامعة الأردنية

٣٥٤.٦٠٣١٣١٣٢٤ للشيخ الإمام (أبو منصور الثعالبي)، وبدأه[١] رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين:

(١) المؤلف أبو منصور الثعالبي (٩٦١-١٠٣٨م، ٣٥٠-٤٢٩هـ) هو عبدالملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، وهو من أهالي نيسابور. اشتغل بالأدب والتاريخ، فأصبح من الأئمة في الأدب واللغة، وصنف كثيراً من الكتب، ومن كتبه المطبوعة: (يتيمة الدهر: ٤ أجزاء، واللطائف والظرائف، وفقه اللغة، ويواقيت المواقيت، وسحر البلاغة، والمنتحل، ولطائف المعارف، والمبهج، وغرر أخبار الفرس، وبرد الأكباد، ومن غاب عنه المطرب، والأمثال، ومما جرى بين المتنبي وسيف الدولة، والخاص، ونثر النظم وحل العقد، ومكارم الأخلاق، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب، وسر الأدب، والكناية والتعريض "النهاية في الكناية"، والمؤنس الوحيد، ومرآة المروات، وأحسن ما سمعت). ومن المخطوطات: (تحفة الوزراء، وغرر البلاغة، وأحسن المحاسن، والغلمان، والتجنيس، وطبقات الملوك، والمتشابه "رسالة"، والتمثيل والمحاضرة، والشكوى والعتاب، والمقصور والممدود). وهذا المخطوط الموجود لدينا يختلف عن مخطوطات أخرى؛ منها ما طبع في مكتبة العاني عام ١٩٧٧ في بغداد وبنفس العنوان وتحقيق حبيب علي الراوي والدكتورة ابتسام مرهون؛ وهي غير النسخة التي توليتُ تحقيقها، ولقد اعتمد المحققان على ناسخ نسخ نسخة مكتب راغب باشا المنسوخة عام ١١١٢هـ ونسخها للمحققين كمال بهاء الدين، واعتمدا أيضاً على نسخة مكتبة فيض الله رقم ٢١٣٣ في معهد المخطوطات العربية وهي في أربعين ورقة نسخت عام ١٠٢٨هـ وهي أقدم النسخ، ونسخة أمانة خزينة نسخت عام ١٣٠٠هـ وصورت في معهد المخطوطات العربية، ونسخة مكتبة غوطا رقم ١٨٨٦ وعليها تملك الفقير أحمد الصديقي ثم ملكها ابنه من بعده، وهذه النسخ -كما قال المحققان- منقولة من مصدر واحد والاختلافات بسيطة، وتختلف عن المخطوط الذي توليت تحقيقه بزيادة أو نقصان. انظر الصفحات ٣٢ و٣٣ و٣٤ و٤٩ و٦٣ و٦٤. ولقد أسهب المحققان في تفاصيل وصلت بعدد صفحات المخطوط إلى ٢١١ صفحة، ونشرت الألمانية ريجناهاينكه المخطوط الذي حققه العراقيان دون أن تضيف عليه شيئاً في مجلة الأبحاث في الجامعة الأمريكية بيروت عام ١٩٧٢. وبالنسبة لي نسخت المخطوط بنفسي خلال إجازة التفرغ العلمي عام ١٩٨٩ ودققته مراراً ودققه من ورائي إخوة أفاضل في دار البشير في عمان جزاهم الله كل خير.

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين. (الحمد لله مبتدع الأشياء بمتقن فطرته ومودعها لطائف حكمته، ومصرف الأقدار على مشيئته ومدبرها بقدرته، خلق خلقه أغياراً وأخيافاً[1]. ورتبهم منازل وأصنافاً. وجعل بعضهن لبعض سخرياً. وفضلهم في الرزق، فكانوا فقيراً وغنياً، وأرضى كلّاً بما قسم، فسكنوا إليه متبوعاً وتبعاً، وشرع لهم في دينه سياسة أمرهم باتباعه شرعاً، حتى دانت الرعية لملوكها ووزرائها وقادتها، وأعطت طوعاً وكرهاً ذليل مقادتها. فانتظم بذلك فيهن التدبير وتم، وجرى عليهم حكم القضاء فحتم).

التأثر بشخصية وزير حقيقي:

تأثر الثعالبي بشخصية وزير مثله مثل ميكافلي الذي كان متأثراً بشخصية بعض الوزراء وخرج بكتاب الأمير، وها هو الثعالبي يتأثر بشخصية وزير ويذكر: "وبعد: فإني حين خدمت مولانا ملك ملوك الزمان، وفريد العصر والأوان خوارزم شاه[2] وخطر له أن يخدم وزيره الأعظم، وسفيره الأفخم، أبا عبدالله الحمدوني بهذا الكتاب[3] وقصد به استجداء مواهبه الجسام ومكارمه العظام، وسماه بتحفة الوزراء، ورتبه على خمسة أبواب[4]:

---

(١) أخيافاً: من الخيف، والخيف: أن تكون إحدى العينين من الفرس زرقاء، والأخرى كحلاء، ويقال: الناس أخياف؛ أي مختلفون. أبو الحسين، أحمد بن فارس، "**معجم مقاييس اللغة**"، دار الجيل، بيروت، ٢/٢٣٤.

(٢) ورد ذكره في كتاب الثعالبي، أبو منصور، عبدالملك بن محمد (٤٢٩هـ)، **نثر النظم وحل العقد**، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٣، ص٢. هو أبو العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه.

(٣) أبو عبدالله الحمدوني وزير خوارزم شاه، ذكره الثعالبي في كتب أخرى مثل نثر النظم وحل العقد، وكتاب الكناية والتعريض، ويلاحظ أن الثعالبي هنا في هذا المخطوط سماه الوزير الأعظم والسفير الأفخم.

(٤) هذه المخاطبة لملك الزمان وللوزير أبي عبدالله الحمدوني، وهذا التبويب للكتاب بهذه الطريقة هو نفس أسلوب الثعالبي في باقي كتبه؛ مما يدحض أي شك عن نسب هذا المخطوط للثعالبي.

الباب الأول

الباب الأول في أصل الوزارة واشتقاقها

قال الله تعالى في محكم كتابه، حاكياً عن نبيه وكليمه موسى عليه السلام: **(واجعل لي وزيراً من أهلي. هارون أخي. اشدد به أزري. وأشركه في أمري. كي نسبحك كثيراً. ونذكرك كثيراً. إنك كنت بنا بصيراً. قال قد أوتيت سؤلك يا موسى)** (طه: ٢٥-٣٦)، وهو أول من تسمى بهذا الاسم على ما قيل، وكان ينوب عن أخيه في كثير من أمور مهمات بني إسرائيل، ولذلك استخلفه عليهم حين خرج إلى الميقات. وقال تعالى: **(ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم)** (طه: ٧٨)، أي: أثقالاً من أمتعتهم وحليهم.

ولم تزل ملوك الفرس واليونان والهند تتخذ لدولها الوزراء، ولهم في ذلك أوضاع وقوانين، ولهم فيها سمات بلغاتهم. وفي أصل اشتقاق اسم الوزارة أقوال: أحدها أنه من الوزر: وهو الثقل، لأن الوزير يحمل الثقل عن الملك الموزور له، ومنه قول الله تعالى: **(حتى تضع الحرب أوزارها)** (محمد: ٤) أي: سلاحها، وتقديره: حتى يضع أهل الحرب سلاحهم، لأن السلاح يحمله المحاربون فيثقلهم حمله. قال الأعشى[1]:

وأعددت للحرب أوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا

---

(١) الأعشى، ميمون بن قيس، **ديوان الأعشى والأعشين الآخرين: وهو الصبح المنير في شعر أبي بصير**، مطبعة: آدلف هلز هوسن، ص١٤٩. ورواية البيت الثاني فيه هكذا:

ومن نسج داود موضونة تساق مع الحي عيراً فعيراً

والموضونة: الدرع المنسوجة بعضها على بعض.

ومـــن نســـج داود يحـــدى بهـــا علـــى أثـــر الحـــي عيـــراً فعيـــرا

وقيل: إنه مشتق من الإعانة، لأن الوزير يعين الملك على ما هو بصـــدده من أعباء السياسة، ومنه قوله تعالى: **(واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري)** (طه:٢٩-٣١)، اشتد بمعونته ومساعدته، وقال تعالى: **(سنشد عضدك بأخيك)** (القصص:٣٥). وقوله: **(كزرع أخرج شطأه فآزره)** (الفتح:٢٩)، ومعنى "شطأه" صغاره التي تنبت حول أصوله، وقوله: "آزره": أعانه بصغاره وفراخه.

وقيل: هو فارسي معرب، وأصله من الزور، وهو عنـــدهم اســـم للشـــدة والقوة، فاستعير وعرب، والمعنى فيه: أنه يشد من صـــاحب الدولـــة ويقويـــه، ويعينه على ما هو بصدده.

والأظهر أنه من المساعدة والإعانة، هذا قد روي عن عائشة، عن النبي: "إذا أراد الله بعبد خيراً -أو قال: بالأمير خيراً- جعل له وزير صدق، إن ذكـــر أعانه، وإن نسي ذكّره، وإذا أراد به غير ذلك، جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه"(١).

أهمية الوزراء عند الحضارات:

استعرض الثعالبي أهمية الوزراء عند الفرس والهنود واليونان ونـــوعيتهم وعددهم وعند العرب؛ قال الثعالبي: "فأما اتخاذ الملوك الوزراء، فلم تزل ملوك الفرس تنتخب الوزراء وأهل المشورة والتدبير، وقل ملك من عظماء ملـــوكهم، إلا وكان له ثلاثة وزراء وأكثر إلى سبعة عشر، وكذلك ملوك الهند يقولون: أقل ما ينبغي أن يكون للملك أربعة وزراء، وكذلك ملوك اليونان والنبط الكردانيون والروم والفرنج، لم يخل ملك من ملوكهم عن وزير ومشير.

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أبو داود، انظـــر: ســـليمان بـــن الأشـــعث الأزدي السجســـتاني (٢٧٥هـــ)، **سنن أبي داود**، ت: شعيب الأرناؤوط، دار الرســـالة العالميـــة، بيـــروت، ١٤٣٠هـــ، (٢٩٣٢)، ٤٤٩٤.

وكان أنوشروان يقول: لا يستغني أعلم الملوك عن الوزير، ولا أجود السيوف عن الصقال، ولا أكرم الدواب عن السوط، ولا أعقل النساء عن الزوج.

ولمكانة الوزراء من الأمراء، ومشاركتهم إياهم في الأمور، وتصريف أعنة التدابير، جرى في المثل السائر على وجه الدهر: لا تغترر بكرامة الأمير، إذا غشك الوزير.

وإلى هذا المعنى أشار أبو الفضل محمد بن العميد وزير ركن الدولة البويهي ومؤيد الدولة البويهي، وزاد فيه، حيث قال لصديق له من العلوية كان مختصاً بركن الدولة:

وزعمت أنك لست تفكر بعدما علقت يداك بذمة الأمراء
هيهات لم تصدقك فكرتك التي قد أوهمتك غنى عن الوزراء
لم تغن عن أحد سماء لم تجد أرضاً ولا أرض بغير سماء[1]

وفي المزدوجة المعروفة بذات الحلل:

إذا طلبت نائل الأمير فالطف له من جهة الوزير

وما أحسن قول أبي تمام لمحمد بن عبدالملك وزير المعتصم والواثق:

أبا جعفر إن الخليفة إن يكن لورادنا بحراً فإنك ساحل

ومنه أخذ يحيى بن علي بن يحيى المنجم المليانى المغربي الجزائري قوله:

أمير المؤمنين بحر زاخر جوده ليس يعدوه أحد
وأبو النجم لمن يقصده مشرع منه إلى البحر يرد

(١) انظر: أبو منصور الثعالبي (٩٦١-١٠٣٨م/٣٥٠-٤٢٩هـ)، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، دمشق، ١٣٠٣هـ، ٣/٢٠٣-٢٠٤.

أهمية الدين

ذكر الثعالبي رواية الشاعر العباسي أبي الفتح البستي وهو يمدح وزيراً، وتردد أن يصفه بأعقل الناس بسبب ديانته، قال: وقال لي يوماً أبو الفتح البستي الكاتب: لم أعلم إلى البارحة أن أبا إسحاق الصابئ (وزير الطائع والمطيع) أكتب الناس وأبلغهم، ولولا الديانة لقلت: أعقلهم، فإني عثرت على فصل من كلامه في حكمة الله تعالى في اختلاف طبقات الناس، وافتقارهم إلى الملوك والوزراء وحاجة بعضهم إلى بعض، واطراد العالم بهذا التدبير، فكدت أجن عليه وأحم من حسدي له.

الوزير والسن:

ظهر أن استيزار المشايخ أصحاب العلم والتجربة والحنكة أهم من استيزار الشباب، ذكر الثعالبي: وقرأت عن موسى بن عبدالملك قال: فرق الفضل بن سهل (سليل ملوك المجوس) عيوناً له من نصائحه في البلدان، وأمرهم أن يسألوا عن عيوبه، فعاد إليه واحد منهم، فأخبره أن وفداً وفدوا على المأمون، فلما فصلوا قالوا: ما رأينا مثل هذا الملك جلالةً وعقلاً، ولا مثل وزيره كفايةً وفضلاً، لولا أنه شاب، ومن شأن الملوك أن يستوزروا المشايخ الذين اجتمعت لهم إلى العلم تجربة، وإلى الرياسة حنكة. فاحتجب الفضل ثلاثة أيام يعالج لحيته، ثم ظهر للناس وهي بيضاء(١).

الوزير الصالح

أسهب الثعالبي في التركيز على الوزير الصالح وأصله وفصله وأدبه وتدبيره ونفسه الأمارة بالخير واستيزار الشريف المذكور لا الوضيع المجهول،

---

(١) من الذين كتبوا عن الوزراء له كتاب (الكتاب والوزراء) وهو أبو عبدالله محمد بن عبدوس الكوفي، وعرف بالجهشياري، والثعالبي يشير إلى هذا الكتاب.

وأن استيزار الوضيع يضيع الملك كما حدث لعز الدولة بختيار الذي استوزر صاحب مطبخه أبا طاهر محمد بن بقيه (ولقب الوزير الكبير ونصير الدولة) وتضاحك الناس به قرباً وبعداً وقال قائلهم: من الغضارة إلى الوزارة! (والغضارة القصعة)، قال الثعالبي: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله بملك خيراً، قيض له وزيراً صالحاً، إن نسي ذكره، وإن نوى خيراً أعانه، وإن أراد شرّاً كفه".

واجتمعت الآراء على أنه ينبغي أن يجمع وزير الملك بين الأصل والفصل، والقول الفصل والأدب الجزل، والرأي الثاقب والتدبير الصائب، ويرجع إلى نفس أمارة بالخير، بعيدة من الشر، مداولة على سبل البر، ويجمع أدوات السيادة، وآلات الرياسة، بمحبة يطبق بها قلوب العامة بعد الخاصة، ويرجي أيامه بين نصح يؤثره، وجد في مصلحة المملكة يستعمله، وجهد في التقرب إلى سلطانه يتحمله، ويخلص على النقد والتميز خلوص الذهب الإبريز، فإذا اجتمع الملك الفاضل، والوزير الصالح الناصح، فاعلم أن المملكة تكون ساكنة هادية، وأحوالها وأعمالها على النظام جارية، والرسوم الجميلة راتبة، وطرق التجارات آمنة، والأسعار منحطة، وثغور الخير مبتسمة، ونفوس الرعايا في ظلال السكون وادعة، وفي رياض الأمن راتعة.

وعمدة الأمر في الوزارة أن يستوزروا الشريف المذكور، ولا يؤهل لها الوضيع المجهول، كما فعل غير واحد من الملوك، فجنوا على ملكهم، وأراقوا دماء دولتهم، وهدموا ركن سياستهم، ومنهم عز الدولة بختيار[1].

---

(١) بختيار أبو منصور عز الدولة بن معز الدولة أحمد بن بويه (٩٤٢-٩٧٨م) (٣٣١-٣٦٧هـ) كان شاعراً ومشهوراً بالقوة وشدة البأس. أصبح سلطاناً بعد أبيه. قتل على يد ابن عمه عضد الدولة.

الاقتصار على وزير واحد:

ربط الثعالبي بين الخطر على الدولة وكثرة الوزراء. لم يكن هناك مجلس وزراء مثل هذه الأيام يرأسه رئيس وزراء، والوزير كان يقوم بدور المستشار، والوزارة تالية للملك، قال الثعالبي:

وقد جرت عادة الملوك باستيزار الواحد والاثنين فصاعداً من الوزراء، والجمع بينهم في زمان واحد، وذلك خطل من الرأي، وخطأ من التدبير، وفيه خطر على المملكة، إذ لا يسع السيفين غمد، وكثرة الأيدي في الصلاح فساد، وفي أمثال العامة: (من كثرة الملاحين غرقت السفينة).

وقد كان الخلفاء من بني العباس، على اتساع ملكهم، وانتظام الشرق والغرب في عقد سلطانهم؛ لا يستوزرون إلا واحداً واحداً، على ما تنطق به كتب أخبارهم وأخبار وزرائهم، إلى أن كانت أواخر أيام المقتدر، فمرضت الدولة، وضعفت السياسة، وشغرت المملكة، وصرف علي بن عيسى[1] عن وزارة السلطان، على فضله وعدله وسداده وحزمه، بحامد بن العباس على تخلفه ونقصه، ثم لم يستغن عن علي لتقدمه في الكفاية، واستقلاله بما يعجز عنه غيره من أعمال الوزارة، فضم إلى حامد، وجعلت إليه الدواوين، فكانا يتشاركان في الوزارة، وأغلب الاسم لحامد، وأكثر العمل لعلي، حتى قيل فيهما:

أعجب من كل ما تراه كون وزيرين في بلاد
فذا سواد بلا وزير وذا وزير بلا سواد

(١) الوزير علي بن عيسى بن داود بن الجراح، أبو الحسن البغدادي الحسني (٨٥٩-٩٤٦م) (٢٤٤-٣٣٤هـ). وزير المقتدر ووزير القاهر، عاش حياة مضطربة. توفي في بغداد. له (ديوان الرسائل) و"معاني القرآن" أعانه عليه ابن مجاهد المقرئ، وله (جامع الدعاء) وكتاب الكتاب وسيرة الخلفاء.

ولم يؤت بالأمس أبو علي سيمجور[1] إلا من كثرة وزرائه، واختلافاتهم في مشاورته، وإفساد هذا ما يصلحه ذاك من رأيه، وخرقه الآخر من أمره، حتى صارت تلك الحال إلى أقبح المصاير، وانجلت عن أسوأ العواقب.

في فضائل الوزارة ومنافعها:

يمدح الثعالبي فوائد الوزارة ويستعرض تجارب الفرس واليونان. قال تعالى: **(ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً)** (الفرقان: ٣٥)، خرج هذا مخرج الامتنان في جواب سؤال موسى عليه السلام: **(واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري)** (طه: ٢٩-٣٢)، فالوزير معين الملك وظهيره، ومدبر أمره ومديره.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله بالأمير خيراً، جعل له وزيراً صالحاً"، ويروى: "وزيرَ صدق، إن ذكر أعانه، وإن نسي ذكره، وإن أراد به سوءاً، أو قال غير ذلك، جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه".

وقال كسرى الأول أنوشروان بن قباذ: الوزير من الملك بمنزلة بصره وسمعه وقلبه ولبه، لأنه مغلق الأبواب، متوار عن الأبصار، فيجب أن يكون محفوظاً وملحوظاً، وعليه أن يحفظ مصالح الدولة، وضوابط المملكة، لتبقى على حسن نظامها، وجمال رونقها، ويدفع عنها الآفات العارضة التي ربما أدت إلى فسادها، كالطبيب الحاذق، فإنه يشتغل بحفظ الصحة ثم بمداواة ما يعرض الجسد من خلل.

مثل الملك العادل مع الوزير الفاضل، كالنهر العظيم الذي مشارعه تسهله، وقال الفضل بن سهل: "مثل الملك الصالح مع الوزير الطالح، مثل النهر العذب

(١) أبو علي سيمجور أمير من أمراء دولة السامانيين.

الطيب الصافي فيه تماسيح، لا تنفع به المنتفع إلا نادراً على وجل، وكذلك الحديقة المونقة فيها الأسد"[1].

وقال أرسطا طاليس: قد انتخب الإسكندر سبعة وزراء يصحبونه في سفره، ويتكلفون مصالح أمره، وقال لهم: إن الملك قد أشرككم في ملكه، فأديموا النعمة عليكم بنصحه، فارفعوا دعائم الملك، وثبتوا قواعده، وحصنوه بالعدل، وزينوه بالفضل، وأصلحوا الخلل قبل أن يعجزكم إصلاحه، وانتهزوا الفرص قبل فواتها، وكيف ما كان، فأنتم شركاء الملك، فإن ربحتموه ربحتم، وإن خسرتموه خسرتم، فاعملوا لكم ولغيركم، والله موفقكم.

في آدابها وحقوقها ولوازمها:

يتحدث الثعالبي عن أدب الوزير وحقوقه ولوازمه وذكر ما يلي:

ينبغي أن يختار للوزارة من اجتمعت فيه الأخلاق الحميدة، والأفعال الرشيدة، وعرف بالآراء السديدة، وجودة التدبير، وصواب الآراء المفيدة، فتكون فيه العدالة والنزاهة والشجاعة والسياسة، وإذا كان زمان السلم والهدنة، يصلح أن يكون الوزير حليماً ساكناً، وإذا كان زمن الفتن والحروب، يصلح أن يكون شجاعاً صارماً. قال بعض الفضلاء: شرائط الوزارة خمسة:

الأول: العدل، ليكون منصفاً في حكمه، وتسلم الرعية من ظلم غيره وظلمه![2]

---

(١) الفضل بن سهل (٧٧١-٨١٨م) (١٥٤-٢٠٢هـ) وزير المأمون، أسلم على يديه لأنه كان مجوسياً في الأصل. تولى الوزارة والجيش فلقب بذي الرياستين. قيل إن المأمون دس عليه من قتله وتوفي في سرخس التي ولد فيها.

(٢) نظام الملك علي بن إسحق (١٠١٨-١٠٩٢م) (٤٠٨-٤٨٥هـ). هو الحسن بن علي بن إسحق الطوسي (من طوس)، اشتغل بالأعمال السلطانية مع ألب أرسلان وكان وزيراً، وعندما جاء ولده ملك شاه أصبح وزيراً وقائماً لعمله خير قيام.

الثاني: الأمانة، ليفي ما عليه، ويستوفي ما له، ولا يختزن لنفسه فتسير عماله بسيرته.

الثالث: الكفاءة: وهي العلم بالأعمال الدنيوية والتصرفات، ووجوه تثمير الأموال والاستخراجات، فيضع الأمور مواضعها، ويرتب الأعمال على قواعدها.

الرابع: السياسة: فيعرف مداراة الجند وتأليفهم، وجمعهم وتفريقهم، ويكون خبيراً بالمكايد الحربية، والخداع، وحفظ البلاد والثغور والقلاع.

الخامس: أن تجتمع فيه الخشونة واللطف، فيخشن على القوي حتى يلين عريكته، ويلين للضعيف حتى ينال من الإنصاف بغيته، ويكون بذلك مقداماً على المخاوف، جسوراً على الأهوال إن اضطر إليها، محجماً عن التقريرات إن منع الرأي السديد عنها. ولقد أشار بعض الشعراء إلى بعض من نال الوزارة وهو عري عن هذه الخلال، فقال:

لا كمال لا جمال لا بيان لا عباره
هكذا الرسم لديكم أين آلات الوزاره

ولبعضهم في مدح الوزير أبي نصر العتبي:

جمع الله للوزير أبي نصر خصالاً تعلو بها الأقدار[1].

وقال أحمد بن سهل أبو زيد البلخي (الجاحظ الثاني) في صفة الوزير الكامل: ينبغي أن يكون جامعاً لخصال الخير، ومحاسن الشيم، تجتمع فيه البشاشة والوقار، والحلم والهيبة، والإقدام والثبات، ليضع كل شيء في موضعه، هذا مع العفة، والنزاهة، وعزة النفس، والعلم بصناعة الكتابة وضوابطها، وحسن العبارة والعلم بالسير والأخبار الماضية فإنها تفيد الاطلاع على التجارب

(١) أبو نصر العتبي: محمد بن عبدالجبار العتبي ١٠٦٣م – ٤٢٧هـ، نشأ في خراسان وهو مؤرخ وشاعر.

والعوائد، وليكن ذا هيئة جميلة، وصورة مقبولة، وإن كان قد بلغ الأربعين سنة، كان أحمد، وأوفق، وأكثر حكمة وتجربة[1].

وقال غيره: ينبغي أن يكون الوزير الفاضل ذا هيئة وهيبة، يسكته الحلم، وينطقه العلم، له خط، وبلاغة في إيجاز وفصاحة، وتوصل إلى الأغراض، وتأت في المخاطبات، والأصل في ذلك الديانة والأمانة والنزاهة.

وقال: أضر ما على الملك أن يكون وزراؤه ونوابه يجيدون القول ولا يجيدون العمل، فيركن إلى أقوالهم، وتختل المملكة بإهمالهم، أو بقبيح أعمالهم.

وقال بعض الحكماء: إذا رأيت الوزير يجمع المال لنفسه، فأبعده، فلا خير فيه، لأن حب المال يغطي على العقل، ويمنعه عن مشاهدة المصالح، وإذا رأيت الوزير يحب الصيت والذكر لنفسه مع إهمال جانب الملك، فلا خير فيه، فإنه قد كفر نعمة الملك، وهو السبب فيما نال من ذلك.

وكانت الأكاسر تشترط في اتخاذ الوزير سلامة الحواس، وسلامة الأعضاء، وجمال الصورة، مع سابق ذكره من العقل والرأي والهيبة والوقار، وغير ذلك. وإن انضاف إلى ذلك أن يكون حسن الخط واللفظ، له علم بالمساحة والهندسة والحساب، وتصرف في الأمور السياسية والتدابير الملوكية، واطلاع على تواريخ الأمم، وتجارب الأوائل، وكان صادق القول، عالي الهمة، شريف النفس، غير حسود، ولا غضوب، ولا ملول، ولا معجب، ولا شره، ولا خمير، ولا هزول، ولا غفول؛ فقد كملت فيه آلات الوزارة، وصلح لتدبير الممالك.

---

(١) أبو زيد البلخي (٨٤٩-٩٣٤م) (٢٣٥-٣٢٢هـ) هو أحمد بن سهل البلخي، ولد وتوفي في بلخ، وهو من العلماء الأفذاذ، وتعكس قائمة مؤلفاته الموجودة في كتاب الفهرست لابن النديم سعة اطلاع هذا الرجل؛ ومنها: كتاب السياسة الصغير، وكتاب السياسة الكبير، وكتاب الشطرنج، وفضائل بلخ، وآداب السلطان والرعية، وأخلاق الأمم.

وصف الأمير أو الوزير:

وفيما يلي وصف ممتاز لشخصية الأمير أو الوزير؛ والمقصود الوزير الذي يساعد الرجل الأول وهو عمرو بن مسعدة[١]: (إني التمست لأموري رجلاً جامعاً لخصال الخير، ذا لطف في خلائقه، واستقامة في طرائقه، قد هذبته الآداب، وأحكمته التجارب، إن ائتمن على الأسرار كتمها، وإن قلد مهمات الأمور نهض بها، يسكته الحلم، وينطقه العلم، تكفيه اللحظة، وتغنيه اللمحة، له صولة الأمراء، وأناة الحكماء، وتواضع العلماء، وفهم الأدباء، يسترق قلوب الرجال بحلاوة كلامه، ويعجز الفضلاء بفصاحة لسانه وحسن بيانه، ويودع محبته القلوب بلطائف إحسانه، إن أحسن إليه شكر، وإن ابتلي بالإساءة صبر وانتظر، فهذا الذي يصلح أن تعقد به الأمور، ويفوض إليه سياسة الجمهور.).

قال الشاعر العباسي أبو الفتح البستي في الصاحب بن عباد وهو من مشاهير وزراء بني بويه[٢]:

فتى جمع العلياء علماً وعفة وبأساً وجوداً لا يفيق فواقا
كما جمع التفاح حسناً ونضرة ورائحة محبوبة ومذاقا

واجبات الوزير مع الملك:

ذكر الثعالبي حق الوزير للملك ما يلي:

جملة ما يلتزم الوزراء من الحقوق لملوكهم ثلاثة: الإخلاص في النصيحة، وبذل الجهد في إقامة صحة المملكة، ودفع الآفات عنها.

---

(١) عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول، أبو الفضل الصولي، من وزراء المأمون. كان كاتباً بليغاً، توفي في أضنة (أذنة) تركيا.

(٢) الصاحب بن عباد (٩٣٨-٩٩٥م) (٣٢٦-٣٨٥هـ) وهو إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، استوزره مؤيد الدولة بن بويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة. ولد في الطالقان من أعمال قزوين وتوفي في أصبهان.

وأما تفصيل ذلك، فهي حقوق متعددة: ومنها مستحبة، ومنها متأكدة، أولها الإخلاص في النصيحة والود، فلا يضمر له غشّاً، ولا يدخر عنه مالاً ولا نفساً، ولا يداجي عليه عدوّاً، ولا يطوي عنه نصيحة يحتاج إلى إعلامه بها.

ومنها إظهار محاسنه إن خفيت، ونسبة أفعال الخير إليه، وستر مساويه إن ذكرت، وتتبع من يخالف ذلك حتى يزيله عنه، إما بقمع، أو بإحسان.

ومنها التواضع له، والإجلال لقدره في الحضور والغيبة. وقد قيل: كلما زادك الملك إكراماً، فزده تواضعاً، ويتقاصر فيما يضاهيه من تجمل، أو تنعم، أو مقاومة في مسكن أو مركب أو ملبس أو حشم، وإذا فهم أن له غرضاً في شيء مما عنده، تركه له.

ومنها تنفيذ أوامره بعد أن يتأملها، فإن رأى خللاً سده، أو خاف مكروهاً سعى في إزالته، والأدب في ذلك أن يجيب بالسمع والطاعة، ويوقف الإمضاء بنوع من التعاويق، ثم يراجع الملك على خلوة، فإن تعذر، فبمكاتبة، ويوضح ما ظهر له من الرأي وما يخشاه من الخلل، ثم يعمل بما يوافقه عليه ويقرره معه. ومنها السعي في عمارة البلاد، وإصلاح خللها، وتثمير الأموال والمزروعات وتحصيل آلات العمارة، والترغيب في ذلك، فإن بالعمارة تغزر الأموال، وبالأموال تشمخ الممالك، وتكثر الأعوان.

أورد الثعالبي فصلاً في الخصال التي ينبغي أن تجتمع في هذا الوزير مع ما تقدم وصفه من الشرائط والآداب:

يحتاج أن يجتمع فيه مع الإسلام والبلوغ والعقل شروط العدالة، وقد اختلف في الحرية واشتراطها، والصحيح أنها لا تشترط كالملك وإمامة الصلوات، ويحتاج مع ذلك أن يكون موصوفاً برزانة العقل، وجودة الآراء، والمعرفة بالسياسة، لا تبهره الأمور، وإن عظمت، ولا تدهشه الآراء والأعمال إذا تكاثرت، وليكن فيه الثبات والوقار والنهضة والتنفيذ والتقرير، كما قال الشاعر:

بديهته وفكرته سواء إذا اشتبهت على الناس الأمور

وأحـــزم مـــا يكـــون الـــرأي منـــه إذا أعيـــا المشـــاور والمشـــير[١]

ومن حق هذا الوزير أن يعتنى بأمره، ولا يعزل إلا بحادثة تخل التصرف أو الخيانة.

إن هذه الوزارة هي العامة التامة، فلينظر واليها في جميع أمورهـــا، دقيقهـــا وجليلها، ولينـدب لجميع الولايات من يليق بها، ويتفقد أحوالهم في أثناء ذلك، فيقـــر الكافي، ويبصر الغبي، ويعلم الجاهل، ويعاقب المسيء الخائن، ويصرف العاجز.

ويتعين على هذا الوزير أن يمعن النظر فـــي دقـــائق مصـــالح المملكـــة وتحسينها، وما يعود بقوتها وتمكينها، ويذكي العيون، ويستعلم الأخبار، ولا يغفل عن خلل يتوهم، أو فساد يظهر، فقديماً قال الحكيم: (لا تتهاونن بصغير يحتمـــل الزيادة)، ولا يطوي عن الملك شيئاً من هذه الحوادث، وهذا المعنى مجموع في أبيات نصر بن سيار والي خرسان التي كتبها إلى مروان عند ظهور قائد جيوش العباسيين أبي مسلم الخراساني، وهي:

أرى خلـــل الرمـــاد ومـــيض جمـــر ويوشـــك أن يكـــون لهـــا ضـــرام

فـــإن النـــار بالزنـــدين تـــورى وإن الحـــــرب أولهـــــا كـــــلام

فـــإلا تخمدوهـــــا نجـــن حربـــــاً يكـــون وقودهـــا قصـــر وهـــام

أقول مـــن التعجـــب ليـــت شـــعري أأيقـــــاظ أميـــــة أم نيـــــام[٢]

أما حق الوزير على الملك فيمكن أن ألخصها بما يلي:

---

(١) وردت في كتاب الأحكام السلطانية: هذه الأوصاف إذا كملت في الزعيم فالإصلاح بنظره عـــام. انظر: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي المـــاوردي (٤٥٠هـــ)، **الأحكـــام السلطانية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٢٦.

(٢) نصر بن سيار: رافع بن حرى بن ربيعة الكناني (٧٤٨م-١٣١هـــ) هو شيخ مضـــر بخراســـان ووالي بلخ ثم خراسان، وقد قويت الدعوة العباسية في أيامه. عبدالســـلام الترمـــانيني، **أحـــداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين**، دار طلاس للنشر، دمشق، ص٨٢٤-٨٢٥.

١- أن يرفع من قدره.
٢- ألاَّ يسمع كلام الوشاة فإنه مقصود ومحسود، وقد لخصها حكيم فارسي بألَّا يؤاخذ بغير حق ثابت ولا يقدم عليه من هو دونه بالكتابة ولا يمكن منه عدوّاً.

المشورة:

أسهب الثعالبي في المشورة وأورد فصلاً في المشورة وذكر: قال تعالى معلماً نبيه عليه السلام: **(وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله)** (آل عمران: ١٥٩).

وقال عليه السلام: (ما خاب من استشار، ولا ندم من استخار)[١]. وقال: (المستشار مؤتمن)[٢]. يريد بذلك أداء النصيحة إلى المستشير، وحفظ الأمانة للمشير، والمشورة التي يستعان بها في تدبير السياسة والآراء أصنافها، والسياسة نظام الدولة، وصورة الملك، فإذا ضعفت الآلة أو فسدت، ضعف الملك أو فسد، إذا استعملت تلك الآلة فيه، قال بعض العلماء: الآراء هي قياس الأمور المستقبلة على أمور ماضية، ولها أمثال وأشباه، ومادة الرأي التجارب مباشرة، أو سماعاً، فلكثرة التجارب ندب إلى استشارة المشايخ، ومن قال باستشارة الشبان شرط أن تكون أمزجتهم صحيحة، وقرائحهم سليمة، وعلومهم ورواياتهم غزيرة.

وقال المأمون لولده موصياً ومعلماً: استشيروا ذوي الرأي والتجربة والحنكة، فإنهم أعلم بمصارف الأمور، وتقلبات الدهور، وأطيعوهم وتحملوا ما يغلظون به من القول، ويكشفونه من عيب، لما ترجونه من حالة تصليح، وفتق يرتق، فإن من جرعكم المرارة لشفائكم، أشفق ممن أطعمكم الحلاوة لسقامكم. قال الشاعر:

---

(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الصغير)، انظر: سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ)، **المعجم الصغير**، دار عمار، عمان، ١٩٨٥، ص٢٠٤، قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) ٩٦/٨: رواه الطبراني في ((الأوسط)) و((الصغير)) من طريق عبدالسلام بن عبدالقدوس وهو ضعيف جدّاً.

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٢٨)، والترمذي (٢٨٢٢)، وابن ماجه (٣٧٤٥) عن أبي هريرة.

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل[1]

قال القاضي الجرجاني[2] رحمه الله:

شاور سواك إذا نابتك نائبة يوماً وإن كنت من أهل المشورات
فالعين تلقى كفاحاً ما نأى ودنا ولا ترى نفسها إلا بمرآة

وقد ورد في الأثر: استرشدوا العاقل، ترشدوا، ولا تعصوه، تندموا.

وقيل: من أكثر المشورة، لم يعدم على الصواب مادحاً، وعلى الخطأ عاذراً.

وقال بعض العلماء: المشورة والآراء صناعة نفسانية صرفة، فلهذا كانت أشرف، كما أن الحمل على الرأس وغيره صناعة جسدانية، فلهذا كانت أخس. والخطأ في ذلك شديد الضرر. والخلل بخلاف هذا، فكم من الدماء أريقت، وبلاد أخربت، ومحارم انتهكت، وسبب ذلك سوء الآراء وخللها، وفي منثور الحكم: شاور قبل أن تقدم، وتمكن قبل أن تندم. فينبغي للوزير إذا دهمه أمر يضطرب له حاله، أن يثبت في المشورة، ويخمر الآراء، ولا يعجل، فإنه لا يزيد الصعب التأني إلا سهولة، والفكرة إلا بصيرة، ثم يجدد الاستشارة بعد الأناة، فقد تبدو من الشرور بوادر ليس لها ثبات، ولا هي على أصول. ولا خير في الرأي الفطير.

المشورة:

وفي هذا الفصل يسهب الثعالبي في وصف من يستشار ومن لا يستشار، وذكر:

---

(١) عمير بن شييم بن عمرو بن عباد من بني جشم بن بكر، أبو سعيد التغلبي الملقب بالقطامي، من نصارى تغلب في العراق، وهو –أيضاً– ملقب بصريع الغواني، وله بيت الشعر:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

(٢) القاضي الجرجاني: أحمد بن أحمد بن العباس الجرجاني (١٠٨٩م-٤٨٢هـ) هو قاضي البصرة وشيخ الشافعية في عصره.

يختار للمشورة أهل العلوم الغزيرة، والتجارب الكثيرة، والحلول الرزينة. قال البلخي: شاور في أمرك من جرب الأمور وخبرها. وتقلبت عليه الحوادث وباشرها، ما لم يوهنه ضعف الهرم. ولا يغيره حادث السقم.

وقال: يستشار في الحرب ذوو العقول السليمة من العلماء، ولا يستشار أهل الحرب. وقرأت في رسالة كتبها عبدالله بن حمزة العلوي الناجم[1] باليمن تتضمن أن المشير لا بد أن يجمع أربعة أمور: الدين، والعقل، والنصح، والمودة. وكل من كان بغير هذه الصفة الداء الدفين.

إذا كنت في حاجة مرسلاً فأرسل حكيماً ولا توصه
فإن ناصح منك يوماً دنا فلا تنأ عنه ولا تقصه
وإن باب أمر عليك التوى فشاور لبيباً ولا تعصه

وقال بعض الفضلاء: اعدل عن مشورة من قصد موافقتك متابعة لهواك، أو اعتمد مخالفتك انحرافاً عنك، واعتمد على من توخى الحق والصواب لك وعليك.

وقيل في منثور الحكم: من التمس الرخص والموافقة من الإخوان في الآراء فقد غش وخان. كما أن من فعل ذلك في الفقه، أخطأ في الأحكام. ومن فعله في الطب، زاد في الأسقام.

وهكذا كانت دولة المقتدر بالله[2]، كان في مبادئها من الضعف والوهن واختلال التدبير، وفساد قواعد الملك، ما لا خفاء فيه، وسببه أنه ولي الخلافة

---

(١) عبدالله بن حمزة العلوي (١١٦١-١٢١٧م، ٥٦١-٦١٤هـ) أحد الأئمة الزيدية في اليمن ومن علمائهم وشعرائهم.

(٢) المقتدر بالله (٨٩٥-٩٣٢م، ٢٨٢-٣٢٠هـ) هو جعفر بن أحمد بن طلحة، أبو الفضل المقتدر بالله ابن المعتضد بن الموفق، ولد في بغداد وبويع بالخلافة ٢٩٥هـ وخلع بعد عام ثم أعيد تنصيبه، كان يستعين كثيراً بخادمه مؤنس الذي خرج عليه بالقوة المسلحة، وانهزم المقتدر بالله وقتل.

وهو صغير، وتصرفت والدته وخالته و(قهرمانته) في الملك، فكان ما كان، وقد يكون فيهن ذات العقل والرأي وكذلك في الأحداث والصبيان، إلا أنه على الندرة.

وذكر الثعالبي أن الكفاة هم الذين يجمعون بين البلاغة والسياسة، فيحكمون بعدل، وينطقون بفصل ويحملون الدولة، ويدبرون المملكة، ويسوسون الرعية، فإن انضاف إلى ذلك أن يكون في بلاغته صاحب خط، وفصاحة لفظ، وجمال منظر، وفي سياسته ذا تحيل، وصحة فكرة، وثبات عزيمة؛ فقد لبس ثوب الفضل بعلميه، وأخذ الحبل بطرفيه، وصلح لتدبير الدول والممالك، ومن شأن العرب الفصاحة والإسجاع والافتخار بذلك، وتكلفه في المجاملة، وكان في دولة بني أمية جماعة منهم ومن ولاتهم ممن يوصف بالبلاغة والسياسة وحسن التدبير، ونحن نذكر بعض البلغاء من غير اشتراط التقديم والتأخير:

فمنهم عمرو بن العاص، مشهور بالدهاء والذكاء والبلاغة والسياسة وتدبير الحروب والدول، وكان لمعاوية الوزير والمدبر لدولته والمشير.

ومنهم زياد بن سمية المنسوب إلى أبي سفيان (زياد بن أبيه من القادة في صدر الإسلام)، له خطب بليغة، ورسائل وجيزة فصيحة، وسياسة مشهورة، وضوابطه للأعمال مذكورة.

والحجاج بن يوسف الثقفي، كان من الفصاحة والتمكن في البلاغة، والصرامة في السياسة، والجزم في التدبير؛ في غاية لا تكاد تدرك، لولا إفراط ظلم وعسف وتهور أخرجه عن رتبة السواس الفضلاء، إلى درجة الأشقياء.

ومن وزرائهم وكتابهم الكفاة البلغاء: قبيصة بن ذؤيب[١]، ورجاء بن حيوة الكندي[٢]، وعمر بن هبيرة[٣]، وعبدالحميد بن يحيى[٤].

---

(١) قبيصة بن ذؤيب الخزاعي المدني، توفي سنة (٧٠٥م-٨٦هـ) وهو من مواليد عام الفتح. محدث ثقة من فقهاء المدينة، اتصل بعبدالملك بن مروان. توفي في دمشق.

(٢) رجاء حيوة بن جرول الكندي (١١٢هـ-٧٣١م) كان فصيحاً عالماً لازم عمر بن عبدالعزيز في عهد إمارته.

(٣) عمرو بن هبيرة بن سعد بن عدي الفزازي (٧٢٨م-١١٠هـ) بدوي أمي، ولاه عمر بن عبدالعزيز على الجزيرة سنة ١٠٠هـ. غزا الروم وانتصر عليهم.

(٤) عبدالحميد بن يحيى، هو عبدالحميد الكاتب.

وأما الدولة العباسية، فالقائم بدعوتها أبو مسلم عبدالرحمن بن مسلم الخراساني، وكان أحد رجال الدنيا سياسة وهمة وبلاغة.

ومن بلغاء الخلفاء وذوي السياسة والتدبير: المنصور، ثم المهدي، وكان يباشر الأمور بنفسه، ثم الرشيد، والمأمون عالم بني العباس، والمعتصم سائسهم، وكذلك المعتضد، وغيره.

وإلى الآن الخلافة في ذريتهم، والمعارف والفضائل تقتبس من جهتهم. وأما من كان في دولتهم من بلغاء الفضلاء وكفاة الولاة والوزراء، فأكثر من أن يحصى؛ فمن مشاهير الكفاة الوزراء: أبو سلمة الخلال(١)، وهو أول من تسمى بالوزارة، والبرامكة بأسرهم، سيما جعفر بن يحيى، وأصلهم من ولد برمك، وكان مكرماً عند الفرس من أرباب ديانتهم، وانتهت إليهم في العربية البلاغة والفصاحة، والإحاطة بعلوم الكتابة، وكان الناس ربما تكلفوا رفع القصص والحوائج إلى جعفر لحصول تواقيعه على رقاعهم، ثم الفضل بن سهل المعروف بذي الرياستين، وأخوه الحسن، وكانا من الفرس أيضاً، وكذلك الفتح بن خاقان، وولده، وعمرو بن مسعدة ووزير المعتصم محمد بن عبدالملك الزيات على ظلم كان في سجيته.

(١) أبو سلمة الخلال (٧٤٩م-١٣٢هـ)، هو حفص بن سليمان الهمداني، كان يسكن بدرب الخلالين في الكوفة، وكان حلقة الوصل بين الحميمة وبين خراسان، وبعد انتصار جيوش العباسيين سلمت إليه أمور خراسان، ويسمى بوزير آل محمد، أعلن الإمامة الهاشمية، ولم يسم الخليفة لأنه كان يرغب في إسنادها إلى جعفر الصادق وعبدالله بن الحسين وعمر الأشرف بن علي زين العابدين، وعندما دخل عبدالله أبو العباس الكوفة جاء أبو سلمة واعتذر إليه فقبل عبدالله الاعتذار، ثم تم تدبير قتله فقتل.

الخلاصة:

احتياج الملك إلى معونة الوزراء؛ فإنه لن يصل إلى ما يريد من إحكام التدبير وضبط الأمور إلا بحسن معونة الوزراء والأعوان، الذين تجري على أيديهم الأعمال، ولن تستكمل المنفعة من الوزير حتى تتكامل فيه خلال، وهي: العلم بالأعمال التي يليها، وحسن السياسة لها، والنظر بوجوهها وما فيه من إحكامها، والنفاذ في معرفة لطائفها وغوامضها، وإخلاص النصيحة حتى يؤثره الملك على نفسه وعلى الناس كلهم، وشدة المحبة له، وإذا كان كذلك لم يداهن أحداً في تضييع حق، ولم يلتمسه على الغش له، ولم يستخف بالخلل يراه في شيء من أمر دولته، ولم يلتمس الحظوة عنده بمتابعته على هواه في الأمر الذي يتخوف إضراره به، والعفاف عن الأموال، واستشعار الناس عن كل ما دعا إلى تضييع عمل، وانتقاض حق، ويكلف الأهل والأعوان والبطانة مثل ما يكلف به نفسه.

وقالوا: الوزارة أبعد الأمور عن أن تحتمل غير أهلها، ويسوغ لكل أحد الطمع فيها، لأن الوزير من الملك بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه، ألا ترى أن الملك مستور البدن عن الناس، مغلق الباب دون العامة، فمهما أمر من أمر، احتاج إلى أن ينفذه وزيره على أحسن الوجوه وأوجهها ليحجبه عن رعيته، ومهما دفع إليه من شيء، احتاج أن يعرف صدقه من كذبه، وحقه من باطله، ومهما وصل إلى بيوت ماله وخزائنه، احتاج إلى أن يحفظه حتى لا يتحرك ولا يختان، ومهما كان في أقاصي البلاد من خبر، أو حدث فيها من حدث يطويه العمال، ويكتمه الولاة، احتاج إلى أن يبلغه إياه، ويعرض عليه الرأي فيه.

المصادر:

١. الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى والأعشين الآخرين: وهو الصبح المنير في شعر أبي بصير، (مطبعة: آدلف هلز هوسن).

٢. أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية، (بيروت، دار الكتب العلمية).

٣. أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، (بيروت : دار الجيل).

٤. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، (١٢٨١م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (بيروت: دار الثقافة)، ١٩٨٠.

٥. خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم، (بيروت: دار العلم للملايين).

٦. أبو منصور الثعالبي (٩٦١-١٠٣٨م /٣٥٠-٤٢٩هـ) هو عبدالملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، نثر النظم وحل العقد، (بيروت: دار الرائد العربي ١٩٨٣). يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، دمشق، ١٣٠٣هـ.

٧. سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، (القاهرة: دار الحرمين، ١٩٩٥). المعجم الصغير، (عمان: دار عمار ١٩٨٥).

٨. سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، ت: شعيب الأرناؤوط، (بيروت: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ).

٩. عبدالسلام الترمانيني، أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين، (دمشق: دار طلاس للنشر).

١٠. أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (ت٢٧٩هـ)، الجامع الكبير – سنن الترمذي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨).

١١. محمد بن يزيد بن ماجة القزويني أبو عبدالله، السنن (سنن ابن ماجه)، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون، (بيروت: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ).

١٢. نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (بيروت، ١٩٨٢).

References:

1. Ibn Khallikan Ahmad bin Mohamad ,Wafeyat El Ayan Wa Anbaa Abnaa El Zaman ,Verfied By Ehsan Abbas (Beruit, Dar Sader :1978)
2. Abu Mansour Tha'ālibī, Abdul-Malik ibn Mahommed ibn Isma'il Abu Mansour Al- Tha'alibi(961-1038)(329-350), "Nathr Al-Nazm wa Hal Al-Oqad, (Beirut,Dar Al-Rae'd Al-Arabi,1983)
3. Abu El Hussein Ahmad Ibn Fares , The Dictionary of "Maqyees Al-Lugha",Ibn Fares (Beruit :Dar El Geel)
4. Khair El deen Al-Zarkali-Al-Alam, Biographical Dictionary (.Beruit: Dar El Elim Lli Malayeen) 8 Volumes.
5. Abul-Hasan Ali Bin Muhammed Bin Habib Al-Basri Al-Baghdadi Al-Mawardi, (450,hijrah) "Al-Ahkam Al-Sultania" "The Ordinance of the Government" (Beirut,Dar el-Kutub Al-Elmeyyah,)
6. Suliman Al-Tabrani, in "Al-Mu'jam Al-Saghir" (Amman : Dar Amar 1985)
7. Suliman Bin El Ashath Abu-Daoud , Sinin Abu-Daoud .
8. Abid El Salam Al-Tarmanini, Ahdath El Tareekh El Eslami be Tarteeb El Seneen (Damascus : Dar Etlas)

Note : This research has been a book which was summarized in two languages in Arabic and English and published in both languages , In English in Balochistan Review (Univ of Balochistan –Quetta – Pakistan).